

## ظاهرة الزعامة الرمزية في المجتمعات التقليدية

### The phenomenon of symbolic leadership in traditional societies

تقي الدين حاج، جامعة تبسة، الجزائر.

takiliya@hotmail.fr

وسيلة بروقي، جامعة تبسة، الجزائر.

alicebrougui@gmail.com

تاريخ التسليم: (2020/02/21)، تاريخ المراجعة: (2020/06/18)، تاريخ القبول: (2020/08/17)

#### Abstract :

All human groupings have a social structure that distinguishes them. Therefore, each social pattern has a special structure for governance that is represented in traditional societies by the phenomenon of leadership or charismatic personality that works as an authoritarian apparatus that manages its social affairs and works to preserve the cultural structure in a manner that preserves the identity of these societies. The charismatic figure of the ruler, like the ritual, is efficacious with the efficacy of the sacred, with its capacity in nature and its veil, by organizing human relations, as the leadership relies on the loyalty of the followers and the prevailing norms and myths for the perpetuation of its rule and this authority is decided in political, social, economic and cultural affairs. The leadership function is inherent to the existence of the group itself. The aim of this study is to show the role of leadership in traditional societies, and our results are that leadership is a phenomenon rooted in all traditional societies and inherent to its existence, and that it has an organizational role for traditional community affairs.

**Keywords:** authority, charisma, symbolism, structure. Leadership, identity.

#### ملخص :

إن لكل التجمعات البشرية بناء اجتماعي يميزها لذلك تتجلى في كل نمط اجتماعي بنية خاصة للحكم تتمثل في المجتمعات التقليدية بظاهرة الزعامة، أو الشخصية الكاريزمية التي تعمل كجهاز سلطوي يدير شؤونها الاجتماعية وتعمل على الحفاظ على البنية الثقافية بما يحفظ هوية هاته المجتمعات. فالشخصية الكاريزمية للحاكم شأنها شأن الطقوس تتحلى بفاعلية المقدس، بأهليتها بطبيعتها واستنارها، بتنظيمها العلاقات البشرية، إذ تعتمد الزعامة على ولاء المتبوعين والأعراف والأساطير الساندة لديمومة حكمها وهذه السلطة هي التي تقرر في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. فوظيفة الزعامة ملازمة لوجود الجماعة ذاتها. والهدف من هذه الدراسة هو تبين دور ظاهرة الزعامة في المجتمعات التقليدية، وما توصلنا إليه من نتائج هو أن الزعامة ظاهرة متجذرة في كل المجتمعات التقليدية وملازمة لوجودها، وأن لها دور تنظيمي لشؤون المجتمع التقليدي.

الكلمات المفتاحية: السلطة، الكاريزما، الرمزية، البنية، الزعامة، الهوية.

\* المؤلف المراسل: تقي الدين حاج، الإيميل: takiliya@hotmail.fr

## مقدمة:

تفترض الزعامة وجود علاقة بين طرفين: القائد الذي يتمتع بصلاحيحة الإمرة والسلطة والنفوذ والجمهور أو الشعب أو الأمة التي تسلم بوجود هذه القيادة وتدعن لتوجيهاتها ولأوامرها وتدين لها بالطاعة والولاء. (غسان، 2010، ص13)

فلا يمكن لهذه العلاقة بين الطرفين أن تنشأ من فراغ، لا سيما أنه ومن حيث مقتضيات العقل، ليس ثم ما يبرر لفرد من الأفراد أن يتميز على الآخرين ويعلو عليهم بحكم المساواة التي تقتضيا الطبيعة. فالأفراد متساوون بحسب الفطرة في إدارة شؤونهم الذاتية. والفرد يأبى الخضوع للآخرين إلا إذا كانت ثمة مبررات موضوعية أو طبيعية تحتم ذلك (غسان، 2010، ص13)

ومن بين هذه المبررات المنحكمة إلى الطبيعة، العلاقة بين الأب وأبنائه وهي تفترض في أحد وجوهها حق الأب في الإشراف والتدبير وصون مصالح أبنائه بحكم حاجة الأطفال للاتقياد له لعجزهم عن إدارة شؤونهم الذاتية. (ناصيف، 1995، ص23)

ثم تأتي القوانين والأعراف والتعاليم الدينية لتكرس هذه العلاقة في حدود معينة. فالقيم في المجتمعات الريفية تقتضي تقديم الطاعة للأب ولكبير السن. والقوانين الحديثة تعترف للأب بسلطة الوصاية على أبنائه حتى بلوغهم السن القانونية، ثم يأتي الدين ليحث على أوامر تلك العلاقة التي تستمر حتى ما بعد سن الرشد حتى ولو بلغ الوالدان أربل العمر. وما يسري على العلاقة الوالدية يسري على سائر التجمعات البشرية حتى تلك الموعلة في القدم والسابقة على وجود الدولة والتنظيم السياسي بالمعنى الحديث.

لقد لعبت الأعراف دورا بارزا في تحديد الزعيم القائد الذي ينبغي على الجماعة أن تدين له بالولاء والطاعة. على أن تلك الأعراف لم تنشأ من فراغ، وإنما مما يشكله الزعيم من فائدة تعود على الجماعة في التماسك والتضامن والمنفعة التي تعبر عن حاجة هؤلاء الأفراد. (غسان، 2010، ص14).

لذلك بوجدنا القول في هذا الشأن أن الرمز أو الرموز تؤدي دورا بشكل عام في إحداث التعاضد والتضامن بين أفراد الجماعة وشد بعضها إلى بعض. ولكن قبل كل ذلك، ينبغي القول، أن ثمة طريقة أكثر بساطة في تعريف الرمز أنه "شيء ما يحل مكان شيء آخر و يستدعيه". إن تمثالا معيننا يذكر رمزيا بشخصية أو حدث أو فكرة، ويضمن لها بذلك وجودا وفعلا مستمرين. إن أي كلمة تحل رمزيا محل شيء، تثير ذكراه دون أن يكون الشيء المادي ضروريا (روشييه، 1983، ص107)

فالجماعات هي كيانات مجردة تحتاج إلى رموز لتذكيرها، إلى الأعضاء الذين هم جزء منها أو لتميزها عن الرموز الأخرى، أو لتثبيت وجودها بنظر الآخرين. هذه هي حالة الجماعات القومية أو الاثنية التي تتمثل لنا برموز متنوعة: علم، شعار الشرف والنسب، نشيد وطني، لون مميز، رجل دولة، رئيس الدولة، الملك، رئيس الجمهورية. مؤسسة سياسية، التاج البريطاني، الأسد البريطاني القندس الكندي الخ... إن هذه الرموز لا تساعد فقط على تقديم الجماعات وتمثيلها بصورة حسية وإنما يمكن

كذلك أن تستخدم من أجل أن تثير أو تنمي شعور الانتماء عند الأعضاء و تضامنهم. هذا ما يسعى إليه و يثيره مثلا إنشاد النشيد الوطني من قبل حشد من الناس، أو جولة من جولات رئيس الدولة في الظروف المؤاتية، أو كاريكاتير مظهرها الشخصية النموذجية وهي تجابه مشاكل الجماعة أو رفع العلم أو القسم به، حتى إن احترامه يصل أحيانا إلى حد القداسة الأسطورية التي ينشأ عليها الشاب الأميركي ويكبر، وكيف يتعلم احترام الشارات والرموز التي تحيط به (روشب غي، 1983، ص 115)

على أنه ينبغي التنبيه للتراتبية بين الطاعة والاحترام في العلاقة الجدلية بين القائد الكاريزمي والأتباع أو المناصرين، على أنها ليست على درجة من التساوي الذي يجعل التماهي مع القائد على درجة واحدة، ولكن من دون أن يفقد رمزيته الكاريزمية، ذلك أن تصرف الفرد في النظام الاجتماعي يخضع للنموذج الثقافي السائد الذي يكفل الانسجام والتكافل والتوازن (غسان، 2010، ص 49) -بتصرف-

**مشكلة البحث:**

الزعامة أو القيادة هي إحدى اللوازم المفترضة لدى الجماعات على امتداد التاريخ، لما تضطلع به من وظائف، تختلف بحسب المرحلة التاريخية ودرجة الرقي الحضاري التي تقف عندها هذه الجماعات. لذلك فإن موضوع هذا المقال، يحاول تسليط الضوء على ظاهرة وظيفية في البناء الاجتماعي للمجتمع التقليدي وهي الزعامة الرمزية، فما هي أهم أبعاد ودلالات وخصائص هذه النزعة في الممارسات الحياتية للمجتمعات التقليدية بشكل عام؟

**أهداف البحث:**

وعليه تبرز أهمية بحثنا في طموحنا أن يحقق هدفين مرجوين أساسيين وهما:

**الهدف الأول أكاديمي:** من خلال توظيف المعارف الأنثروبولوجية النظرية لإثراء حقل دراسات الأنثروبولوجيا السياسية في فهم حقيقة ظاهرة الزعامة الرمزية وآثارها في الممارسة السياسية للمجتمع التقليدي ومدى تحقيقها الاستقرار والتوازن في بناء المجتمع التقليدي.

**الهدف التطبيقي:** من خلال تناول الظاهرة بالتحليل والدرس، يمكن إحياء تراث المجتمعات التقليدية وإثبات أنها مجتمعات عريقة ذات أصالة وتاريخ، غنية بتنوعها الثقافي وتراثها خاصة وأنها مهمشة من حيث الدراسات الأكاديمية وهذا ما ساهم بشكل مباشر في إخفاء أو طمس بعض من هوية هاته المجتمعات لا ويل واندثار بعض الكيانات الاجتماعية القديمة في طيات النسيان بالأخص في ظل غياب النسبية الثقافية من قبل، إذ كان الباحث يتعاطون مع هاته المجتمعات بنظرة فوقية، لا نظرة موضوعية أفقية.

**فرضيات البحث:**

1. إن بروز ظاهرة الزعامة أمر طبيعي لا بل قد يكون ضروري وإلزامي لممارسة الضبط الاجتماعي والحفاظ على الشعور بالانتماء وتماسك بنية المجتمع التقليدي وتوازن تركيبته واستقرار أفراد،

ظاهرة الزعامة ضرورة طبيعية وأصيلة في البناء الاجتماعي للمجتمع التقليدي، لانسجام المجتمع والأفراد فيه.

2. إن عامل الانتخاب الثقافي بالنسبة لإنسان كزعيم أو قائد حدث طبيعي من خلال ملاحظة عالم الطبيعة، فإننا نجد أن طبيعة الكائنات في نظمها الاجتماعية والاقتصادية والقيمية تنتخب على الدوام فرداً من جنسها يكون بمثابة السائس والحامي والمسير لشؤونها.

من المعلوم أن البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع التقليدي يركز على مجموعة من الأعراف والعادات والشعائر والطقوس والأساطير ويطولات الأسلاف والأمجاد التي يزخر بها المخيال الجمعي لتلك المجتمعات سواء كانت نتيجة تراكمات دينية أصيلة في بنيتها وتاريخه، أم أنها نتيجة الاحتكاك والتناقض مع المجتمعات الأخرى. ومن المعلوم أن النزعة الدينية تجعل الإنسان التقليدي في تركيبته، باحث عن التعلق والانتماء لكل ما يضمن بقاء واستمرار هويته.

### منهجية البحث:

أ- **المنهج التاريخي:** هو البحث الذي يصف ويسجل الوقائع والأحداث الماضية ويدرسها ويفسرها، ثم يحللها استناداً إلى أسس منهجية وعلمية دقيقة، واستخدمنا هذا المنهج في هذا المقال من خلال استقصاء ظاهرة الزعامة الرمزية عبر التاريخ في مجموعة من المجتمعات التقليدية من الشرق والغرب.

ب- **المنهج الاثنوغرافي:** هو الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد، والعادات والقيم والأعراف لدى جماعة معينة، وقد قمنا باستخدامه في مقالنا من خلال وصف بنية المجتمعات التقليدية وطبيعة نظامها الاجتماعي ودور الزعامة الرمزية فيها.

## 2. ماهية الزعامة الرمزية ودورها في المجتمعات التقليدية

### 2.1 مفهوم الزعامة الرمزية:

القيادة الرمزية لا يمكن تعليمها. إنها جزء من عملية التطور الشخصي ومن النضال "الفكري والروحي" الذي يؤدي إلى الصدقية والأصالة الشخصية والفهم المبني على قوة الحدس، وبالتالي إلى التصرف بوعي منظومة متطورة من المعاني الشخصية. إنه من المشجع والمثير، وكذلك من المقلق والمخيف، أن هذه العملية هي العملية التي يجتازها الفرد ليتحول إلى إنسان كامل الإنسانية. وهذا قد يعطي الانطباع بعدم وجود فارق بين القيادة المعنوية وأن يكون الفرد أخلاقياً. إن مجرد حضور دورة في الأخلاقيات لا يجعل الفرد أخلاقياً. لكن هناك استراتيجيات يمكنها أن تساعد على تعزيز ما يمكن تسميته بالثقة المعنوية - القدرة على التجاوب مع المواقف المعقدة بطريقة أخلاقية ممنهجة. ولا تختص أي إستراتيجية من تلك الاستراتيجيات بتطوير القيادة المعنوية بحد ذاتها. (إمام، 1994، ص 63)

### 2.2 مظاهر زعامية كاريزمية من التاريخ الغربي والشرقي:

من المناسب تقديم نماذج عشوائية لبعض الزعامات الكاريزمية، التي فرضت شخصيتها وبسطت سيطرتها على بعض المجتمعات من الشرق والغرب قصد الوقوف على الجوانب المختلفة لموضوعنا.

- المظاهر القيادية "الكاريزمية" في التاريخ الغربي: إذا ما تجاهلنا الإشارة إلى تصريح السوسيولوجي ماكس فيبر (Max Weber) حول عمومية الكاريزم الزعامة الباهرة في المجتمعات الأبوية (غوروفيتش، 1981، ص 190)، فإنه طبقاً لأغلب المصادر السياسية والتاريخية التي تتحرى الموضوعية لا العاطفية في البحث عن أصل المفاهيم الاجتماعية ومصدر الظواهر الإنسانية، فإن اليونانيين هم أول من أوجد هذا المفهوم وأسبق من أعطى له المعنى وأسبغ عليه الدلالة.

#### - نماذج من العصر الإغريقي / اليوناني:

ليس من التجاوز في شيء اعتبار موقف أفلاطون (plato) من خصائص الحاكم الفيلسوف بمثابة باكرة اطراح نظرية الزعامة الكاريزمية بصيغتها الجينية. وذلك من خلال تقسيمه المجتمع إلى ثلاث طبقات، تتخصص كل منها بوظيفة اجتماعية معينة، استناداً إلى طبيعة المعدن الذي افترض أنها تنتمي إليه وتمثل خاصيته. ففي الوقت الذي يكون معدن الحاكم/الفيلسوف من الذهب، فإن معدن طبقة المحاربين يتكون من الفضة، هذا في حين يكون معدن طبقة المزارعين والصناع من الحديد. ولذلك فقد أوضح المفكر الغربي أرنست باركر (Ernst Parker) أن تعاليم أفلاطون تتجاوز بكثير أية تعاليم سابقة أو أية اتجاهات سابقة، فهو يقسم دولته المثالية إلى ثلاث طبقات هي الحكام والمحاربون والفلاحون - رجال الذهب ورجال الفضة ورجال الحديد والنحاس - كل طبقة لها وظيفتها المعنية، وكل منها تركز نفسها كلية في أداء هذه الوظيفة (أرنست، 1966، ص 265). وبذلك يمتلك الحاكم/الزعيم خصائص وسمات نوعية لا تتوفر في المحكومين/الأتباع، بحيث لا يتفوق عليهم في امتلاك فضائل الحكمة وسداد الرأي والقدرة على القيادة فحسب. إنما بعلو النسب ورقي الأرومة وشرف المنبت أيضاً. (أفلاطون ، 1974، ص 299)

#### - نماذج من العصر الروماني:

وعلى أعتاب العصر الروماني الذي افتتح باكورته الإمبراطور أغسطس (August) والذي يبتدىء بمرحلة الزعامة الواقعة بين 30 ق. م - 192 م. بحسب تسمية وأرخنه ول ديورانت - حيث يصف لنا هذا المؤرخ واقعة (إن الزعيم جمع في يده كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، فكان من حقه أن يقترح القوانين على الجمعيات أو على مجلس الشيوخ ويعرض المراسيم وكان في وسعه أن ينفذها وأن يفرضها بالقوة إذا شاء. وأن ينشرها ويعاقب الخارجين عليها)، مضيفاً في مكان آخر ضمن نفس المصدر (إن أغسطس نفسه كان من أكبر المنافسين لآلهته. وكان قيصر قد ضرب المثل له في هذا التنافس: ذلك أن مجلس الشيوخ اعترف بالوهية قيصر بعد مقتله بعامين. وما لبثت عبادته أن انتشرت في سائر أنحاء الإمبراطورية. وكانت بعض المدن الإيطالية منذ عام ست وثلاثون قبل الميلاد 36 ق. م، قد أفسحت مجالاً لأكتافيان مكاناً بين معبوداتها. وما وافى عام سبع وعشرون قبل الميلاد 27 ق. م حتى

أضيف اسمه إلى أسماء الآلهة في الترانيم الرسمية التي كانت تتشد في روما. وحتى أصبح يوم مولده يوماً مقدساً لا عيداً فحسب ولما مات أصدر مجلس الشيوخ قراراً أن تعبد روما من ذلك الوقت وأن تعده من الآلهة الرسمية (ديورانت، 1975، ص 14) باختصار كان ينسب إلى الإمبراطور كل فضل أو خير. أو نفع أو كسب. مادياً كان أو سياسياً، يؤمنه للإمبراطورية فوز عسكري ونصر حربي ... إذ من المفروض أن يكون النصر للإمبراطور نفسه، لأنه هو وحده، له الحق بترؤس حفلات زجر الطير واستطلاع الطالع، واستخراج الفأل. والقيام بالمراسيم الطقسية التي تسبق المعركة وتهيئ لخوضها، فهو الذي يوحي مبدئياً ونظرياً، البت بالأمور. والجزم في المعضلات لأنه هو وحده، مهبط الوحي والإلهام الإلهي. وحامل بركة الآلهة وموضع مسرتها ورضاها، فهو وحده، أبداً أبو النصر. وسبب كل ظفر فكل نصر يؤتاه. وكل ظفر يناله، فرصة مناسبة للتهافت باسم صاحب الأمر الإمبراطور (كروزيه، 1986، ص 292-293).

## 2 - المظاهر الكاريزمية "الزعامات" في التاريخ الشرقي:

كما مر معنا في توصيف وتفصي الزعامات والكاريزميات في بعض المحطات التاريخية للحضارات الغربية سنقتصر أن نوضح في هذا الجزء من المقال على بعض النماذج القيادية والزعامات من محطات من التاريخ الشرقي.

### - نماذج كاريزمية أسطورية من حضارة وادي الرافدين و وادي النيل:

كانت المجتمعات في هاتين الحضارتين في طبيعة تعاملها مع الزعامات تتم بوحى من خلال عقائدها الأسطورية، التي فرضت عليها أن الزعيم لا يعدو أن يكون سليل أحد أسلافها أو أجدادها الذين تربطهم بالآلهة صلة نسب أو قرابة. بحيث أن طقوس التأليه وشعائر العبادة التي تمحض لذلك الزعيم التأليه ولا تشكل بالنسبة لأفراد المجموعة أي شكل من أشكال المفارقة أو القطيعة أو التعالي. وإنما هي تجربة أو ممارسة نابعة من صميم إيمانها الديني. ولصيقة بمقومات وجودهم الحضاري. ومدمغة بمنظومة وعبهم الاجتماعي. وهكذا في مطلق الأحوال لا يسمح المجتمع للزعيم بتجاوز حدوده التقنية، انه لا يسمح أبداً بتفوقه التقني هذا، بالتحول إلى نفوذ سياسي. الزعيم هو في خدمة المجتمع، إن المجتمع نفسه -مكان السلطة الحقيقية- هو الذي يمارس بما هو عليه، نفوذه على الزعيم، هكذا يصبح مستحيلاً على الزعيم أن يقلب هذه العلاقة لمصلحته، أن يضع المجتمع في خدمته، أن يمارس على القبيلة ما يسمى بالسلطة: إن المجتمع البدائي لا يسمح أبداً بتحول زعيمه إلى مستبد (بيار، 1981، ص 203)

ومن بعض تلك النماذج الأسطورية الزعامية القديمة الموجودة في تلك المجتمعات التقليدية القديمة نعطي بعض النماذج، التي أفرزتها كل من الحضارتين العراقية والمصرية في هذا المضمار فعلى سعيد تجربة الحضارة الأولى وما تمخض عنها نجد إن "التاريخ بالنسبة للعراقي القديم - كما يشير الدكتور عبد الرضا حسين الطعان - كان تاريخاً يجد الإنسان نفسه ليس ملزماً فقط بمعرفته. ولكن بإعادته من وقت

لآخر لقد كان ضروريا بالنسبة للإنسان القديم أن يعيد ما حدث في البدء عن طريق إقامة الطقوس. وذلك لأن معرفة الإنسان القديم بالأساطير أي بتاريخه المقدس كان أمرا ضروريا، ليس فقط لأنها تعطيه تفسيراً لأسرار الكون وعن كيفية وجوده بالذات في هذا المكان. وإنما لأنه يستطيع من خلال استنكاره الأساطير وإعادة دقاتها، أن يستعيد ما صنعته الأبطال والزملاء والآلهة والأجداد في الماضي (عبد الرضا، 1981، ص225)

هذا في حين نلاحظ أن معطيات تجربة الحضارة الثانية تبلورت من خلال، اندماج الأشكال المختلفة للدين أو تصادمها، انبثقت آراء جديدة عن البطل الأسطورة، الإله وعن الصلة بينه وبين الإنسان. وهذا ما يتضح للباحث من دراسة عبادة اوزيريس وطقوسها، فإنها أهم العقائد الدينية المصرية لانتمائها إلى جميع فئات المجتمع المصري وطبقاته، كما نجد منحها الفكري في كثير من البلاد الأخرى ومداه الإله المتجسد في إنسان. وغالبا ما تلازمها طقوس مصرع هذا الإنسان الإلهي الذي يختاره القدر لتأدية هذا الدور، وهو في جميع الأحوال ملك، وفيه تكمن روح الإله فيصبح متجسدا. وتغدو روح الإله الكامنة في الجسد الإنساني المختار، هو روح الخالق مانح الحياة. وللإنسان الذي تجسد فيه الإله قدرة إضفاء الخصوبة على الأرض. وهاهنا يغدو الملك في أعين رعاياه هو الإله ينتصب في دنيا الناس وحبا لهم. وإذا كان البدن ليس خالدا والروح ليست خالدة فالكائن الإلهي نفسه ليس خالدا. وإذا كانت حياة شعبه ورخاؤه يرتبطان به، فإن تعرضه للموت يعرض شعبه للدمار (شبل، 1971، ص ص 43-44)

- نماذج الزعامة في المجتمعات التقليدية الإسلامية:

لما كان من طبيعة ظاهرة الزعامة الكاريزمية أنها تتحلل من الدين كل مقدساته وتتطفل على التاريخ لتجتاف كل رموزه، فإن الجماعات القبلية التي كانت تسكن بطاح الجزيرة العربية قبل بزوغ فجر الإسلام، لم تكن تعرف زعامة تدين لها بالولاء والطاعة سوى زعامة "شيخ القبيلة"، الذي كان يحرص من جانبه على وحدة إجماعها وتقوية شوكتها وتعظيم هيبتها. وعلى الرغم من المكانة السامية التي كان يحتلها هذا الأخير في النسق الاجتماعي للقبيلة، فضلا عن الدور المحوري الذي كان يشغله في بنية وعيها الجمعي، بحيث تضفيان عليه هالة من الاعتبار الذاتي والتقدير الشخصي بيد أن مصادر السلطة/الزعامة، التي كان يتمتع بها ويمارسها على أفراد قبيلته، لم تكن متأتية من معتقدات إسلامية. ودينية مسبقة، بقدر ما كانت نابعة من متطلبات واقعية وضرورات معاشية. ولذلك فقد لاحظ المفكر اللبناني والأكاديمي "خليل أحمد خليل" انه في دولة "القبيلة يتلاقى مفهوم السلطة والملك. ويتمحوران حول شخص سيد القبيلة، فهو المسود والرب والملك، الشريف، الفاضل الكريم، الحليم، المقدم، إن سيد القبيلة يعبر عن ملكية القبيلة. ويمثل سيادتها أو رئيسها. انه الرئيس والزعيم، إذن من مفهوم الزعامة: الشرف (مفهوم الملك والرئاسة السلطة على القوم). (خليل، 1981، ص-ص 52-53)

ولهذا لا يسجل لنا التاريخ ولا تحفظ لنا الذاكرة، أن مجتمعات العالم العربي القديمة كانت قد شهدت حالات بزوغ زعامات أو قيادات تمتعت بالخصائص الكاريزمية قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربية،

بخلاف مجتمعات العالم الغربي التي سوغت لها الديانة المسيحية قبول مثل هذا النمط من الزعامات المتشحة بالقداسة والمحاطة بالتأليه. ولعل السبب في ذلك يعود في رأينا المتواضع -إلى أن الظاهرة المعنية لا تتجسد في الواقع ولا تتوطد في المجتمع، إلا بوجود المعطى الديني وحضور الشعور القدسي، من منطلق أن الكاريزما جزء أساسي من المقدس - (عبد الهادي، 2008، ص 62)

وهكذا فاعتباراً من اللحظة التي خلط فيها المجتمع العربي مقومات الدين بمكونات السياسة. وربط عناصر الجسد المادي البشري بمظاهر المقدس الإلهي (خليل، 2005، ص 59) شرعت صفات الكاريزما بالتسلل إلى بنيته الاجتماعية -المجتمع العربي الإسلامي- بكل عناوينها ومسمياتها (الخليفية/الأميرية أو السلطانية/الملكية أو الزعامة/الجمهورية)، بحيث أصبحت ظاهرة يألفها التاريخ دون تحرج. وتهضمها الثقافة دون ممانعة. وتتعاظها السياسة دون اعتراض (مؤلف جماعي، 2005، ص 17).

### 3.2 العوامل والمؤثرات في نشأة الزعامة الرمزية:

يرد العلماء الذين بحثوا في سر الزعامة وتقصوا نشأتها والتمسوا بالمشاهدات والاستقرارات والإحصاءات الاهتمام إلى العوامل والمؤثرات في إيجادها، وتكوين الصفات الواجبة لها، يرد هؤلاء العلماء نشأة الزعامة إلى عوامل مختلفة. ومؤثرات متعددة منوعة، منها الطبيعية، وهذه تتصل بالوراثة والبيئة والإقليم. والاستعدادات الفطرية والغدد والإفرازات ومنها الاجتماعية كالظروف المهيأة والفرص السانحة، وأثر البداوة والحضارة والمحيط الاجتماعي والبيئة الثقافية، والأفق المنزلي ونوع الأصحاب والرفقاء والخطأ واللحظات الموقظة، ونقطة الدوران الفجائية، ومنها الشخصية كالنزعات والأهواء والميول والاتجاهات الخاصة، وقوة النشاط ونسبة الذكاء والأخلاق القويمة من التكوين من نحو حب الاستكمال والقدرة على التمام والرغبة في الإجابة والإتقان، وكقوة الاحتمال، والصبر الرفيع، والتجلد المتناهي، والمثابرة والدأب الملح على الاستمرار، والشجاعة وانتقاء التهيب والمخافة، وقبول تحمل التبعات والاضطلاع بالمسؤوليات والإخلاص، وصدق النية والأمانة والنزاهة ونقاء الذمة والعطف على الناس، والثبات على الفكرة أو المبدأ والوفاء للعقيدة، والتصميم على الرأي وقوة العزيمة وعمق الإيمان وضبط النفس والاعتزان والتزام السكينة، ومقاومة الانفعالات واللباقة والكياسة وحسن التصرف، ومعالجة الأمور بالحكمة وفصل الخطاب، على أن هذا التقسيم التقريبي للعوامل المؤثرة في نشأة الزعامة وخلفها كما ترى لا يزال متداخلاً مشتبكاً متصلاً ببعضه ببعض، فما سميناه طبيعياً منها لا يخلو من صلة بما دعوانه اجتماعياً من بينها، كما أن من العوامل الشخصية ما يرتبط بالمؤثرات الطبيعية، ويتولد عنها ويوجد منها التعهد والتنمية والغذاء والوراثة والاكستاب (حافظ، النحاس، 2012، ص 26) وقد ارتقى الطب الحديث أخيراً من ناحية إدراك علم واسع بأثر العدد المختلفة في الجسم، وامتد البحث في تأثيرها إلى استقراء مفعولها في إنتاج الزعامة والنبوغ، وذهب العلماء والباحثون إلى أن في الجسم نحو اثنتي عشرة غدة تُهَيِّجُ أو تُنَشِّطُ الأجهزة العضوية في البدن، فإذا أحدثت فيه نشاطاً خارقاً للمألوف، ساعد ذلك على النبوغ والتفوق، وإذا قصرت في إحداثه، أثرت في قوى الفرد ومبلغ نشاطه، كما أن زيادة نشاط

الغدد يستتبع زيادة مقدرته على الأحداث وشدة تحمله للمجهود، وتدفع به إلى طريق ضبط النفس وقوة الإرادة والاضطلاع بالأعمال الجسام. (حافظ، النحاس 2012، ص28)

ويراد بالفرصة الاجتماعية كذلك سنوح الظروف للسفر والتجوال في الآفاق واكتساب الخبرة والاحتكاك بالنوابغ والقادة والزعماء في مختلف الأقطار، والإقدام على الزج بالنفس في مواقف ومواقف تبعث المواهب الكامنة، وتوقظ المشاعر الهاجعة، وتوقد خبوة الذكاء، ويندمج في معاني الفرص مطالب المرانة والتدريب، لأن النبوغ مهما كان محله من الرفعة لا يزال بحاجة إلى المرانة، والعبقرية وإن بلغت الذروة لا يزال ينقصها التدريب وتعوزها الرياضة، وقلما رأينا المقدرة الذاتية مغنية عن التعاليم وربما اجتمعت كل هذه المؤثرات في حياة الفرد من النشأة أو في الشباب، فأحدثت السلطان البارز في تكوين زعامته، وأعانتها باجتماع عواملها المختلفة على البروز فوق قمة النجاح. (حافظ، والنحاس، 2012، ص34).

### 3. دور الزعامة الرمزية في المجتمعات التقليدية

#### 3.1 المجتمعات التقليدية والتماسك الاجتماعي:

إن سوسيولوجيا الدين عند دوركايم توضح لنا لماذا تقدر الجماعة شيئاً ما، فالسبب في ذلك يرجع إلى أن هذا الشيء هو الذي يجعلها متماسكة ومندمجة ومتميزة عن محيطها الطبيعي والإنساني فالوظيفة الأساسية للمقدس ولعملية التقديس ذاتها تتمثل في إحداث تماسك للمجتمع وتنشئة أفراده. (أشرف، 2010، ص35) لذلك فأساس الشعور بقداسة شيء مادي التي يضيفها أفراد المجتمع التقليدي على الظاهرة أو الشيء المقدس، في الواقع هي تقديس لتجمعهم ووحدتهم وقوة شعورهم بالاتحاد دون قداسة الشيء المادي الذي أضفوا عليه طابع المقدس.

كما يميز أفراد المجتمع التقليدي اعتقادهم بوجود قواعد معينة لها من القدسية أو القوة السحرية أو الآلهية حسب الحالة، بحيث تعرض المخالف لها إلى العقاب الإلهي أو تعرضه إلى نوع من الشر الدنيوي. (سويدي، 1990، ص31) -بتصرف- كما أن التصرف التقليدي غير مرفق بأي تكبير عقلائي بالمعنى الدقيق للكلمة، فالفاعل الاجتماعي يمثل لإطاعة أوامر وأساليب أمليت عليه من خارج ذاته (من المجتمع) بناء على العادات الاجتماعية السائدة. وتصرفه شبه استجابة شبه آلية اعتاد عليها، فالتقاليد تحكم الثقافة. والاختيارات السياسية. (ملحم، 1993، ص20) -بتصرف- تشكل العادات الاجتماعية في المجتمعات التقليدية بطابعها المقدس والمجسد في خضوع الأفراد لها والامتثال بها وحدة عضوية في تكوين المجتمع التقليدي والمحافظة على تماسكه الثقافي والاجتماعي لذلك فالمجتمع التقليدي مجتمع محافظ يفكر بالأمس أكثر مما يفكر بالحاضر والمستقبل، لذلك يتمسك بتقاليد. ويستسلم للقائد الذي يحميها ويحافظ عليها سواء كان شيخ قبيلة أو ملكاً أو رئيساً. (صعب، 1985، ص338) -بتصرف- فكما يرى "باخوت" أن الإنسان -سواء في المجتمع التقليدي أو المعاصر- أن "الإنسان حيوان صانع عادات، فطبيعته كإنسان تحتم عليه أن يقيم صرحاً من العادات والمعتقدات وهو إذ يفعل هذا إنما يرسى دعائم

المجتمع. وأن وسيلته إلى هذا هي الشعور بالحاجة إلى الإشباع والقوة الخفية وراء المحاكاة". (ذباب، 1980، ص107)

والإنسان إذ يصنع هذه العادات فذلك حتى تلعب دورها في الضبط والتنظيم، هذا الدور الذي لا يقل شأنًا عن دور القوانين الوضعية فإذا اعتبرنا هذه الأخيرة هي سلطة المجتمع المكتوبة والموضوعة، فإننا نعتبر العادات والتقاليد سلطته غير المكتوبة ودستوره المحفوظ في الصدور، ذلك الدستور الذي يوجه أفعال الناس وسيطر عليها عبر مختلف العصور وفي مختلف الثقافات والمجتمعات، أنها كما يرى فرانسيس بيكن (francis becken) المدير الأساسي لحياة الإنسان، لذلك ذهب جون لوك (john lock) إلى حد اعتبارها قوة أعظم من الطبيعة. (ذباب، 1980، ص109)

لذلك إن صفة التقليدي لا ترد على مجتمع إلا بعد القراءة الأنثروبولوجية لعاداته وتقاليده. والتي تمثل الروح بالنسبة لجسد مؤسساته السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والدينية، هذه القراءة التي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار موجة الحداثة التي تعرفها المجتمعات التقليدية (Marc et pierre) (42 p. 1997).

### 2.3. الزعامة الرمزية في المجتمع التقليدي تصون النظام الداخلي وتراقب العلاقات الخارجية:

"سوف نعرف السلطة بأنها ناجمة، بالنسبة لكل مجتمع، عن ضرورة مكافحة القصور الذي يهدد بالفوضى" - كما يهدد كل نظام. ولكن لا يجب الاستنتاج من ذلك أن هذا الدفاع لا يلجا إلا إلى وسيلة واحدة - الإكراه - ولا يتحقق إلا بحكم مميز للغاية. يجب إعادة النظر أيضا بكل الأولويات التي تساهم بالحفاظ على التعاون الداخلي وتجديده. فالطقوس والاحتفالات والإجراءات التي تحقق تجديدا دوريا أو اتفاقيا للمجتمع هي مثل الحكام والدور السيادي. هي أدوات العمل السياسي المفهوم على هذا النحو وإذ تخضع السلطة لحيثيات داخلية تظهرها كضرورة يخضع لها كل مجتمع، فهي تبدو أيضا كحاصل لضرورة خارجية. فكل مجتمع كلي هو على علاقة مع الخارج. ومرتبطة مباشرة أو غير مباشرة بالمجتمعات الأخرى التي يعتبرها غريبة أو معادية وخطرة على أمنه وسيادته. استنادا إلى هذا التهديد الخارجي لا يتجه المجتمع إلى تنظيم دفاعه وتحالفاته فقط، بل أيضا إلى تمجيد وحدته وتماسكه وسماته الخاصة. فالسلطة الضرورية للأسباب الداخلية تتشكل وتتعزيز تحت ضغط الأخطار الخارجية - الحقيقية و/أو المفترضة. وهكذا فإن السلطة والرموز الخاصة بها توفر للمجتمع وسائل تأكيد تماسكه الداخلي والتعبير عن شخصيته. وتعطيه وسائل تموقعه وحماية نفسه مما هو غريب عنه. في دراسته عن "تصورات سياسية" يشدد اف. اكس سوتون (Vx sutton) على أهمية الرموز التي تحقق التمايز عن الخارج وعلى أهمية الجماعات والأفراد التي تمثل "المجتمع". تظهر بعض الظروف هذا النظام المزوج من العلاقات، هذا المظهر المزوج للسلطة المتوجهة دائما نحو الداخل ونحو الخارج. ففي الكثير من المجتمعات ذات النموذج العشائري، حيث تبقى السلطة نوعا من الطاقة المنتشرة، يدرك نسق الوقائع السياسية بتفحص العلاقات الخارجية ولقما يدرك عبر دراسات العلاقات الداخلية. وبالإمكان إيجاد مثل على ذلك عند نويري شرق السودان. إن مختلف مستويات التعبير عن الواقع السياسي تتحدد أولا في مجتمعهم على أساس طبيعة العلاقات الخارجية: معارضة مقيدة وتحكيم

بين أنساب يربط بينها نسق النسب والقرابة أو المصاهرة، معارضة وعداوة منظمة في إطار العلاقات بين القبائل، حذر دائم وحرب من أجل الأسرى والماشية ومخازن الغلال، على حساب الغرياء غير النويريين. وفي مجتمعات من نموذج آخر، يمكن أن يظهر توجه السلطة المزدوج باستقطاب مزدوج وهذا مثل (إفريقي ولكن هناك أمثلة كثيرة في أماكن أخرى) يجسد هذه الملاحظة، مثل الزعامة التقليدية في بلاد الباميلي الواقعة في الكاميرون الغربي، فالشكلاان السائدان فيها هما: الزعيم (فو) وكبير الوجهاء (كويبو) الذي يقوم بدور القائد العسكري. (بالاندي، 2007، صص 55 - 56). يظهر الأول كعامل وحدة للنظام القائم. ومصالح وشفيح عند الجدود والآلهة الأكثر قوة. ويتوجه الثاني أكثر نحو الخارج. وهو موكل بمراقبة الأخطار الخارجية والحفاظ على المقدرة العسكرية. هاتان السلطانان هما بطريقة ما في تنافس وتلعب الواحدة إزاء الأخرى دور الموازن وتشكلاان مركزي النظام السياسي وهكذا يتضح لنا إلى أي حد تترابط العوامل الخارجية والداخلية ترابطا وثيقا بشأن تأهيل السلطة وتنظيمها وسيبقى التحليل ناقصا إذا لم نأخذ بالاعتبار شرطا ثالثا وهو أن السلطة -ومهما تكن منتشرة- تستدعي "لا تماثلا" في العلاقات الاجتماعية وإذ تصحيحها على قاعدة معاملة كاملة بالمثل فان التوازن الاجتماعي يصبح آليا ويحكم على السلطة بالزوال وهذا صحيح، فان مجتمعا متجانسا تماما حيث العلاقات المتبادلة بين الأفراد والجماعات قد تلغي كل معارضة وانقسام يبدو مستحيلا، فتعزز السلطة مع بروز مظاهر عدم المساواة التي هي شروط ظهورها، تماما كما هي السلطة شرط صيانة هذه المظاهر وهكذا فان مثل المجتمعات "البدائية" التي قد توصف بالمساواتية يكشف في الوقت نفسه عمومية الواقع وشكله الأكثر اعتدالا ذلك أنه حسب الجنس والعمر والموقع النسبي والاختصاص والسمات الشخصية تقوم في هذه المجتمعات مظاهر استعلاء وخضوع ولكن في المجتمعات حيث عدم المساواة والطبقات واضحة -مذكرة بالطبقات البدائية (ما قبل الطبقات) أو بالطبقات المغلقة - تدرك بكل وضوح العلاقة بين السلطة واللاتماثلات المؤثرة في العلاقات الاجتماعية وبهذا نكون قد تناولنا السلطة السياسية بما هي ضرورة استنادا إلى النظام الداخلي الذي تصونه وإلى العلاقات الخارجية التي ترافقها ولقد تفحصناها أيضا في علاقاتها بوحدة من مميزات كل البنى الاجتماعية: لا تماثلها المؤكد تقريبا والتفاوت الكامن المتغير فيها. (بالاندي، 2007، صص 56 - 57).

#### 4. تحليل النتائج:

بما أن الموضوع ذو طبيعة سياسية، ينبغي أن لا يعالجه الباحث من منظور وزاوية سياسية بحتة، فيغدو الباحث الأنثروبولوجي في مشكلة ابستمولوجية، إذ ستندرج الدراسة ضمن حقل العلوم السياسية، فهنا لا بد أن لا يتوقف الباحث على أن الفعل السياسي ذو أبعاد سياسية فقط فلا بد من اعتبار الفعل السياسي ذو رواسب وجذور ثقافية، وهو ما يوجب ضرورة تدخل الأنثروبولوجي بأدواته وتقنيات ومناهج تخصصه البحثية المتعلقة بالاختصاص - فيضيف على الموضوع صبغة أنثروبولوجية.

. ينبغي على الباحثين والاختصاصيين الأكاديميين والأنثروبولوجيين عند مقارنة هكذا دراسات أن يتحلوا بأقصى مستويات النسبية الثقافية، حتى يتمكنوا من فهم التركيبة المجتمعية للمجتمع التقليدي، كبناء ثقافي له خصوصياته وهويته، فتأتي نتائج الدراسة بأعلى مستويات الدقة والموضوعية.

. بما أن بيئة المجتمعات التقليدية تعرف نوعا من الانغلاق في واقعها الاجتماعي والثقافي والتوجس من كل ما هو دخيل أو جديد، وبما أن ظاهرة الزعامة تعتبر من مكونات الهوية في تلك المجتمعات فيغدو الحديث عنها بمثابة الحديث عن الطابوهات، يجب على الأنثروبولوجي المشتغل في الحقل الميداني أن لا يعتمد على الاستمارات والاستبيان لأن المعلومات والمعطيات التي سيجمعها ستكون قليلة الدقة بل وفي أحيان كثيرة قليلة المصادقية. وبالتالي تكون الملاحظة بالمعايشة هي الأفضل في هكذا دراسة وهكذا حقل بحثي.

. تعتبر الزعامة الرمزية ظاهرة وظيفية في بناء المجتمعات التقليدية بما تؤديه من دور في الحفاظ على النظام الداخلي ورفد الهوية الثقافية بالمتطلبات الضرورية لبقائها وديمومتها.

. لا بد للباحثين والأكاديميين والأنثروبولوجيين من مضاعفة الجهود والاشتغال أكثر على حقل الأنثروبولوجيا السياسية نظرا لندرة الأعمال الأكاديمية وقتلتها في هذا الحقل، الأمر الذي من شأنه تسليط الضوء على الثقافات المختلفة وتزويد المكتبات الفكرية بالأبحاث في هذا الشأن.

#### خاتمة:

ومنه نخلص إلى أن حقيقة الزعامة من حيث هي سلطة رمزية غير عادية، ترتفع بصاحبها عن مستوى البشر العاديين فهي عامل أساسي في الحفاظ على تركيبة البناء الاجتماعي للمجتمع التقليدي لما لها من أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية فهي تمثل السلطة الرمزية في تلك البيئة اذ تعمل على الحفاظ على الهوية ورفدها بالمتطلبات الثقافية من أجل ديمومتها، فجد أن بنية المجتمع التقليدي الثقافية مكونة من الأسطوري والسحري والديني وميزة البحث عن الستاتيكا والاستقرار الثقافي والثبات في العلاقات الاجتماعية، والاهتمام بالماضي أكثر من الاهتمام بالحاضر أو المستقبل، والبحث الدؤوب عن الشعور بالانتماء وسعي هذا المجتمع المتواصل إلى كل ما يعمل على حفظ هويته ومركباته الثقافية والبحث الدائم عن المنقذ أو المخلص نظرا لشدة الإحساس بالاستضعاف أو الخشية الدائمة من كل ما هو جديد والنظر إليه بعين الريبة، كل هذه الظروف والعوامل تعمل على توفير بيئة حاضنة للشخصية القيادية الكاريزمية التي تنبثق في المجتمع التقليدي كمنقذ أو مخلص، وتكرس بقائها وسلطانها من خلال تكثف أفراد المجتمع التقليدي حولها والايان بها اعتمادا على الأعراف والأساطير والدين، وهي المكونات الأساسية للمخيال الجمعي لدى أفراد المجتمع التقليدي، فتكون هذه الأدوات عوامل تجذر وبقاء لظاهرة الزعامة الرمزية وشدة ضرورتها الوجودية في تلك المجتمعات. ومنه فان الزعامة الرمزية تعتبر من مقومات المجتمعات التقليدية فهي ظاهرة وظيفية تعمل على تنظيم واستمرار حياتها.

#### قائمة المراجع:

أولا - المراجع باللغة العربية:

- باركر أرنست، (1996)، النظرية السياسية عند اليونان، بجزأين، ترجمة لويس أسكندر، ج.01، د.ط، مؤسسة سجل العرب، القاهرة.
- منصور أشرف، (2010)، الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- أفلاطون، (1974)، جمهورية أفلاطون، دراسة وترجمة الدكتور فؤاد زكريا، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- كلاستر بيار، (1981)، مجتمع اللادولة، تعريب وتقديم الدكتور محمد حسين دكروب، د.ط، المؤسسة الجامعية للدراسات مجد، بيروت.
- بلانديه جورج، (2007)، الأنثروبولوجيا السياسية، (ط.02)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت.
- غوروفتش جورج، (1981)، الأطر الاجتماعية للمعرفة، ترجمة الدكتور خليل أحمد خليل، د.ط، المؤسسة الجامعية للدراسات مجد، بيروت.
- صعب حسن، (1985)، علم السياسة، (ط.08)، دار العلم للملايين، بيروت.
- ملحم حسن، (1993)، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلب، د.ط، منشورات دحلب، الجزائر.
- خليل أحمد خليل، (1981)، جدلية القرآن، دار الطليعة، (ط.02)، دار الطليعة، بيروت.
- خليل أحمد خليل، (2005)، سوسيولوجيا الجمهور السياسي - الديني في الشرق الأوسط المعاصر، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت.
- حافظ عباس، (2012)، مصطفى النحاس، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة
- حسين الطعان عبد الرضا، (1981)، الفكر السياسي في العراق القديم، سلسلة دراسات (282)، دار الرشيد للنشر، بغداد.
- إمام عبد الفتاح، (1994)، الطاغية، دار المعرفة، د. ب.
- عبد الرحمن عبد الهادي، (2008)، لعبة الترميز: دراسات في الرموز واللغة والأسطورة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.
- طه غسان، (2010)، القيادة وتجربة الفعل المقاوم، منتدى الفكر اللبناني، بيروت.
- ط، روشيه غي، (1983)، مدخل إلى علم الاجتماع، ج1، تعريب مصطفى دندشلي، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- شبل محمد فؤاد، (1971)، دور مصر في تكوين الحضارة، د، ط، المكتبة الثقافية الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
- نباب فوزية، (1980)، القيم والعادات الاجتماعية، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

- السويدي محمد،(1990)، علم الاجتماع السياسي ميدانه وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- كروزيه موريس،(1986)، تاريخ الحضارات العام، ج 02، روما وإمبراطورياتها، ترجمة فريد م. داغر وفؤاد ج. أبو ريجان،(ط.02)، منشورات عويدات، بيروت.
- مؤلف جماعي،(2005)، الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، د.ط، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- نصار ناصيف،(1995)، منطق السلطة، ط1،، دار أمواج، بيروت.
- ثانيا - المراجع باللغة الأجنبية:
- Abèles Marc et Jeudy Henri Pierre,1997. Anthropologie du politique, éditions Armand colin, Paris.